أثر المقامية في توجيه معنى النص
(ظاهرة التمرّد في القرآن الكريم أنموذجاً)

الاستاذ الدكتور
إيمان مطر السلطاني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المدرس المساعد
صفاء عبد الحكيم حسن البكاء

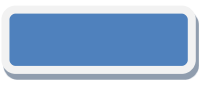

أثر المقامية في توجيه معنى النص
(ظاهرة التمرّد في القرآن الكريم أنموذجاً)

The effect of denominator in directing the meaning of the text "
Phenomenon of rebellion in the Holy Quran model "

الاستاذ الدكتور
إيمان مطر السلطاني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المدرس المساعد
صفاء عبد الحكيم حسن البكاء

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان أثر السياق الخارجي(المقامية)في توجيه معنى النص، فالمقامية كمعيار من معايير النصية تبحث في الموازيات السياقية الخارجية للنص ، ومحاولة تطبيقها على ظاهرة التمرّد في القرآن الكريم ، فالدراسات القرآنية قدّمت للدرس النصي منهجاً سياقياً غاية في الدّقة ، فهي لم تنظر له مجرد وعاء فارغاً لا فاعلية له ، بل كان له الأثر الكبير في تشكيل النصوص من جديد ، ومن مباحث علوم القرآن المرتبطة بالسياق الخارجي هي (أسباب النزول ، والمكيّ والمدني ، والناسخ والمنسوخ) .

المقامية

– المقامية لغةً :

المقام " من قَوَم ، تقول قمت قياماً ، ومقاماً وأقمت بالمكان إقامة ومقاماً ، والمقام موضع القدمين ، وهو الموضع الذي تقيم فيه " [١] ، وقد أشار إلى ذلك أبن منظور فقال " والمقام الكريم هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة " [٢] ، والمراد من موضع القيام المكان [٣] .

– المقامية اصطلاحاً :

هي أحدى المعايير التي تتصل بالظروف المحيطة بالنص ، وعُرفت بتسميات عدة منها (رعاية الموقف) [٤]،(الموقفية) [٥]،(المقامية) [٦]،(سياق الحال) [٧]، وتمثل مجموع العوامل التي تجعل النص ذا ارتباط وثيق بموقف حالي أو بموقف قابل للاسترجاع [٨] ، فتوجد هناك " علاقات أخرى غير النص ومحيطه المباشر وغير المباشر ،ويؤدي الفصل بين هذه العناصر

الداخلية أم الخارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك والانسجام الدلاليين للنص "[٩] ، فالمقامية من المعايير التي تحكم على النص بالقبول من خلال مدى ملاءمته للسياق الذي يرد فيه [١٠] .

وفكرة المقام لم تكن جديدة في العصر الحديث ، وإنّما نجد بذورها الأولى عند العرب على شكل إشارات متناثرة في كتبهم ، ومنه ما رواه **الجاحظ** على لسان **بشر بن المعتمر**(ت٢١٠هـ) "والمعنى ليس بشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك يتّضع بأن يكون من معاني العامّة ، وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال " [١١] .

وقد يلتبس مصطلح (السياق) عند المحدثين الغربيين ، وبين مصطلح (المقام) عند العرب قديماً ، وهذا الالتباس ممتد بين زمنين وثقافتين [١٢] ، وأبدى **تمام حسان** رأيه في هذا الشأن بقوله : " لقد فهم البلاغيون (المقام) أو (مقتضى الحال) فهماً سكونياً قالبياً نمطياً مجرداً ثم قالوا (لكل مقام مقال)٠٠٠، فالذي أقصده بالمقام ليس إطاراً ولا قالباً ، وإنّما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعد المتكلم جزءاً منه ، كما يعد السامع والكلام نفسه ، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم،وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال،٠٠٠ وعلى الرغم من هذا الفارق،أجد لفظ المقام أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث"[١٣].

واليوم فكرة المقام تمثل مركز الدلالة الوضعية ، لأنّها تبرّز الجوانب الاجتماعية التي تظهر فيها العلاقات والأحداث والظروف المناسبة لإيراد الكلام بصورة مخصوصة [١٤] .

فالمقام أو السياق هو " ما يشير إلى الموقف الاتصالي بعناصره : المتكلم/الكاتب ، والمستمع/القارىء ، والعلاقة بينهما ، وزمان ومكان النص والظروف الاجتماعية والسياسية المرتبطة به " [١٥] .

فاللغة ترد أساساً في تشكيل نصوص متضمنة مواقف اتصالية محددة أو تؤدي وظائف تواصلية معينة ، لذا فإنّ معنى اللغة لا يظهر دائماً إلّا مع عوامل أخرى في إطار مواقف تواصل معقدة ،أي الأداء الفعلي للغة في مجتمع معين أو مكان محدد [١٦] ، بمعنى إن اللغة في السياق تمثل بعداً جوهرياً في التداولية [١٧] ، فالتداولية هي " دراسة اللغة في الاستعمال أوفي التواصل ، لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ، ولا السامع وحده ، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي،وأجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما " [١٨] ، لذا فإنّ مُحلل النص

ينبغي عليه أنْ يُراعي السياق المصاحب لذلك النص من متكلم ومخاطب وزمان ومكان ؛ لأنّ هذه العناصر تؤدي دوراً فعالاً في تأويل النص [١٩] ، وهذا يعني أنّ النص لا يمكن أن يبقى منغلقاً على نفسهِ ، بل لابد أن يخضع لمبدأ التأويل السياقي ، وذلك بالانفتاح على السياق الداخلي ، والسياق الخارجي [٢٠] ، وعندها تتجاذبه علاقتان ، فيقع بين التأثير والتأثر من البيئة المحيطة [٢١] .

وبناءً على ما تقدم يمكن القول إنّ السياق يمارس دوراً مزدوجاً فهو يحصر مجالات التأويلات الممكنة ، ويدعم التأويل المقصود [٢٢] ،أي إنّ السياق له تأثير وهذا " التأثير السياقي هو من نمط تأثير القرائن المتصلة ، في حين أنّ تأثير العبارات المشتتة ، هو من نمط تأثير القرائن المنفصلة ، يُضاف إلى ذلك أنّ التأثير السياقي هو أشد وقعاً من تأثير العبارات المشتتة ، لما تتطلبه العبارات التي ينتظمها سياق واحد ، من تناسب وانسجام كبيرين " [٢٣] ، فالسياق في ضوء ما تقدم مقولة جوهرية في أنتاج النصوص وتلقيها ، لذا فإنّ إغفالها أو التقليل من شأنها وأهميتها سيؤدي الى الخطأ في تلقي الدلالة ، وبذلك يكون السياق طاقة سالبة تبتلع النص ، عبر استحواذه على شفرته وسجنها في مطاوي تقاليده ، أي إنّ السياق أكبر من النص وأسبق منه في الوجود وأمكن منه في النفوس[٢٤]، فدلالة أي نص لا تتكشف إلّا من خلال تحليل بنائه اللغوي أولاً ومن خلال العودة إلى سياقه ثانياً، وإنّ إهدار أحد الجانبين يعيق المفسر عن اكتشاف الدلالة والمعنى [٢٥] ، يتضح لنا مما تقدم أنّ من الضروري مراعاة السياق في تحليل النصوص عامة والدرس القرآني خاصة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بلاغة أي نص هي أن تكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما هو معروف بين البلاغيين ، أي الصياغة الأنسب من ناحية الموضوع ، ومن ناحية الزمان والمكان الذي ألقي فيه الكلام ، وبحسب خصوصيّات المخاطب والمتكلم والمجتمع لتصل الرسالة على أنجح وجه الى المخاطبين ، لذا لابد من الالتفات إلى أنّ النص القرآني وإن كان ينظر إلى أمد مفتوح ، كونه رسالة من الله سبحانه إلى العباد ، وهي رسالة خاتمة ، وبحسب اقتضاء البلاغة نفسها، فإنّ النص القرآني جاء منسجماً ومناسباً مع ظروف نشأته ووجوده على مدى العصور،وهو بهذا يختلف عن النصوص اللاحقة التي جاءت في أجواء مختلفة من جهة : المتكلم، والمخاطب، والمنظومة الفكرية التي تتحدّث في ضمنها ، والأجواء التي ألقي النص فيها[٢٦]،فمباحث علوم القرآن يمكن أن تدرس دراسة وافية من ضمن نظريّة العلاقة بين النص والسياق[٢٧]، ولكن لابد من النظر إلى أنّ

خصائص النص القرآني تحددها اعتبارات عدة منها [٢٨] :

٠١ من جهة النص نفسه ، فهذا النص يتميز بكونه نصاً حساساً للغاية ، لأنّه مقوّم للدين ، ويقوم بوظيفة رسم معالمه وتعاليمه ٠

٠٢من جهة موضوع النص وهو الإيفاء بالحقائق الكبرى في الوجود ، ورسم الاتجاه الحكيم في الحياة ٠

٠٣من جهة المتكلم بالنص ، وهو الله سبحانه وتعالى خالق الكون والمهيمن عليه والمدبر أمور مخلوقاته ٠

٠٤من جهة المخاطبين به ، فالنص القرآني موجّه لعموم الناس على مرّ الأزمنة والأمكنة ، وليس نصاً مُعدّاً أو موجهاً لطبقة خاصة من الناس ، وهذه الأبعاد تجعله يتصف بمزيد من الحساسية والخطورة والجدّ ٠

ومن مباحث علوم القرآن المرتبطة بالنص والسياق والتي كان لها أثر في نظريّة علم النص هي:

٠١أسباب النزول

إنّ معرفة أسباب النزول من ألصق المباحث في علوم القرآن ؛ لأنّه يسهم في استقراء العلاقة القائمة بين النص والسياق فهو " من أهم العلوم الدالة والكاشفة عن علاقة النص بالواقع وجدله معه ٠٠٠ فهو يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييداً أو رفضاً وتؤكد علاقة (الحوار) و(الجدل) بين النص والواقع " [٢٩] ٠

ومعرفة أسباب النزول تساعد على فهم النص وعن طريقه يمكن معرفة " وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم " [٣٠] ، وكما يقول السيوطي " إنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب " [٣١] ٠ وهنا تظهر أهميته فهو ليس مجرد رصد للحوادث التاريخية كما يزعم بعضهم،ومما تداوله علماء القرآن لبيان أهمية أسباب النزول ، جاء " في الصحيح عن مروان بن الحكم أنّه بعث إلى ابن عباس يسأله : لئن كان كل أمرىء خرج بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذّبنّ أجمعون ! فقال ابن عباس: هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ثم تلا ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [٣٢] ، قال ابن عباس " سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه وأخبروه

بغيره ، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، فأستحمدوا بذلك الله ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه " [٣٣] ، فمعرفة سبب النزول ساعد على ازالة التوهم الذي وقع فيه مروان بن الحكم وهو أنّ الوعيد بالعذاب لكل إنسان فرحُ بما لم يفعل خير، فأزال ابن عباس الإشكال وأخبره بأنّه لأهل الكتاب ، ويذكر الزمخشري بأنّهم اليهود الذين فرحوا بما فعلوا من خداع وتدليس على النبي ﷺ،وبما يعملونه من كتمان لصفة الرسول ﷺ الموجودة في توراتهم ، ويحبون أن يُحمدوا على هذا الخداع[٣٤]، فوضع الآية في سياقها من قبل ابن عباس ، لا يعني تقييد الآية في سياقها الخاص بها فقط ، وإنّما تبقى دلالتها عامة تستوعب الوقائع المتجددة الشبيهة بهذه الواقعة [٣٥] ، لأنّ " اللفظ أعم من السبب٠٠٠وإنّما الجواب إنّ الوعيد مرتب على أثر الأمرين المذكورين ، وهما الفرح وحب الحمد ، لا عليهما أنفسهما ، إذ هما من الأمور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف أمراً ونهياً "[٣٦].

وفي قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً﴾ [٣٧] ، فالآية تشير إلى فعل بعض اليهود ومنهم كعب بن الأشرف عندما خرج في سبعين راكباً إلى مكة المكرمة بعد معركة أحد ليحالفوا المشركين على استئصال المسلمين ونقض عهدهم مع الرسول ﷺ ، فقال لهم أهل مكة ، أنتم أهل كتاب ولا نأمن مكركم ، فأن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لأصنامنا حتى نطمئن لكم ، ففعلوا ، وقال لهم كعب أنتم والله أهدى سبيلاً من دين محمد [٣٨] ، فنزلت الآية (الم تر الى الذين أوتوا ٠٠٠) أعلاماً من الله ورسوله بما بيته أهل مكة واليهود [٣٩] ، فالناظر إلى دلالة النص يراها عامة ولكن معرفة سبب نزول الآية أسهم في تخصيص المقصودين في النص وهم كعب ومن معه ٠

وجاء في قوله تعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [٤٠] ، نجد في قوله (قل من كان عدواً لجبريل) لا يُعرف المقصود منه إلّا بالرجوع إلى أسباب النزول ، ويُذكر أنّها نزلت في اليهود عندما جاءوا الى الرسول ﷺ وقالوا له نسألك عن بعض الأشياء إذا أنبئتنا عن أسئلتنا عرفنا أنّك نبي وأتبعناك ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه

إذ قالوا (الله على ما نقول وكيل)، فأجابهم عليها، ثم قالوا له بقيت واحدة ، وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها ،فإنّه لكل نبي ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل (ع) ، قالوا جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت ميكائيل الذي ينْزل بالرحمة والنبات والقطر لاتبعناك وآمنا بك ، فأنزل الله سبحانه (قل من كان عدواً لجبريل ٠٠٠) وهم اليهود [٤١] ، وبمعرفة سبب النزول يظهر لنا المراد بقوله سبحانه وتعالى (قل من كان عدواً٠٠٠) وهم اليهود الذين قالوا عن جبريل إنّه عدوهم٠

وفي قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[٤٢]،

كان الكفار يطوفون حول الكعبة عُراة رجالاً ونساءً وهم يشبكون أصابعهم فيصفّرون فيها ويصفّقون ، وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ الرسول ﷺ في صلاته فيعارضونه حتى لا يسمعه أحد[٤٣]،والمكاء والتصدية إشارة إلى عادات وتقاليد كانت للعرب،ولا يمكن فهم النص من دون معرفة سبب النزول فهي مرتكز أساسي لفهم قرينة السياق [٤٤].

ومن خلال الآيات السابقة تتضح لنا أهمية معرفة أسباب النزول ، ومحاولات علماء القرآن بالبحث عن العوامل التي تساعدهم على فهم الدلالة القرآنية المقصودة من خلالها لكونها تمثل العلاقة بين النص والسياق ٠

٠٢ المكي والمدني

إنّ معرفة المكيّ والمدنيّ في القرآن الكريم من الأمور المهمة التي تساعد على فهم النص ؛ لأنّه يمثل السياق (الاجتماعي والتاريخي والثقافي) الذي كان يحيط بالنص " فهو في آنٍ واحد ترتيب زماني ، وتحديد مكاني ، وتبويب موضوعي ، وتعين شخصي " [٤٥] ٠

وقد اختلفت الآراء في تحديد السور المكية والمدنية ، لكن القول المشهور هو " المكي هو ما نزل قبل الهجرة ولو نزل بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة " [٤٦] ، فمعرفة المكي والمدني تستوعب المقولة البلاغية الشائعة ، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فيتغير الخطاب تبعاً لتغير المقام والحال ، ولكن المعرفة بالمكي والمدني ، تبدو أوسع وأشمل مما عناه البلاغيون ، لأنّها تستوعب ما يطلق عليه المحدثون السياق والذي بدوره يشمل شبكة التقاليد : الاجتماعية والاقتصادية والمؤسساتية التي تحكم الثقافة الواحدة [٤٧] ٠

فقد أدرك القدماء أهمية المعرفة بالمكي والمدني ؛ لأنّها تُعدّ المنطلق لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية ، والتطلع إلى مدى تجاوبها مع البيئة العربية في مكة والمدينة ، والوقوف على

اساليب الخطاب التي تختلف باختلاف المخاطبين فمنهم المؤمنون ، والمشركون ، وأهل الكتاب والمنافقون [٤٨] .

فخطاب أهل المدينة يختلف عن خطاب أهل مكة ، فكل ما كان في القرآن (ياأيها الذين آمنوا) مدني ، وكل ما كان (يا أيها الناس) مكي ، وكل ما كان في القرآن (يابني آدم) فإنه مكي ، وكل سورة فيها (كلّا) فهي مكية ، والحكمة من ذلك أن النصف الأخير منه نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جبابرة ، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول [٤٩] ، والذي نزل في المدينة وما تستدعيه البيئة الجديدة من تشريع للأحكام والقوانين التي تساعد على بناء المجتمع الجديد .

ويشير السيوطي على اعتراض بعضهم على هذا التصنيف ، لأنّ هناك شواذاً مثلاً سورة البقرة فيها (ياأيها الناس) وهي مدنية ، وكذلك صدر سورة النساء ، لذا فهو يؤكد على أنّ ما قدمه ليس بالقانون العام ، وإنّما هو في كثير من السور [٥٠] .

وفي قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [٥١] ، تتحدث الآية عن منكري رسالة النبي ﷺ ، فقد كانوا يصطنعون كل يوم الأعذار ، ويطلبون معجزة أخرى غير القرآن الكريم ، فلما يئسوا مما اقترحوه ، قالوا له : لست بنبي ، فقال لهم : الله سبحانه هو الشهيد بأنّي رسوله [٥٢] ، واختلفت الأقوال في قوله تعالى (ومن عنده علم الكتاب) فمنهم من يرى أنّها نزلت بحق القوم الذين أسلموا من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ، ورداً على هذا القول بأنّ السورة مكية وهؤلاء أسلموا في المدينة بعد الهجرة [٥٣] ، وينقل صاحب تفسير الميزان روايات عديدة منها عن تفسير البرهان أنّ قوله تعالى (ومن عنده علم الكتاب) هو علي بن أبي طالب عليه السلام [٥٤] ، وفي ذكر المقصود من هذه الآية " قال أبن عباس – لا والله ماهو إلّا علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام " [٥٥] . نلاحظ من خلال معرفة مكان نزول الآية (مكة) أزال الإشكال الذي وقع فيه بعض المفسرين ، فضلاً عن الإحالة المقامية بالاسم الموصول (من) والتي تحيل إلى خارج النص ، لذا فإنّ من الضروري إذا اراد الدارس أو الناقد أن يفهم نصاً معيناً أن يعيد تصور المقام الأصيل ، لأنّه كلما كان التصور دقيقاً كان أدراك النص أيسر، وفهمه أسهل [٥٦] .

٣. الناسخ والمنسوخ

نزل الوحي الإلهي على الرسول الكريم ﷺ ، منجماً في ثلاث وعشرين سنة ، حتى لا يُفاجىء المؤمنون بالتشريع الجديد فيتدرج مع الأحداث والوقائع التي كانت تفرضها العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في الجاهلية والتي آثر الإسلام أن يقف منها موقف المتمهل المتريث مؤمناً بأنّ البطء مع التنظيم خير من العجلة مع الفوضى [٥٧] ، وهو ضربٌ من مراعاة حال المتلقين ، يقول الزركشي " والنسخ مما خص الله به هذه الأمة في حكم من التيسير " [٥٨] ؛ لأنّ النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم بدليل شرعي تقرره في عهد الرسول ﷺ والمعتمد فيه النقل والتأريخ من دون الرأي والاجتهاد [٥٩] .

فعلم الناسخ والمنسوخ يرتبط بالواقع الخارجي والسياق الاجتماعي للنص ويتكفل بشكل خاص بكيفية تدرج النص تشريعاً مع تقدم الواقع إيماناً واختلافه تلقياً ، وهذا من لطف الله على العباد رعاية لحال الواقع الذي يعيشون فيه أو لسياق النص [٦٠] ، ومن النماذج المشهورة لذلك هي آيات تحريم الخمر :

١.قال تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[٦١] .

٢. وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[٦٢] .

٣.وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ

وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[٦٣] .

وقد علق السيوطي على الآيات الثلاث بقوله " ما نزل في الخمر ثلاث آيات ، فأول شيء (يسئلونك عن الخمر) ، فقيل حُرمت الخمر ، فقالوا : يا رسول الله ، دعنا ننتفع بها كما قال الله ، فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فقيل حُرمت الخمر ، فقالوا يارسول الله: لا نشربها قرّب الصلاة فسكت عنهم ، ثم نزلت (إنّما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه) فقال رسول الله حُرمت الخمرُ " [٦٤] .

فهذه الآيات قد راعت حال المخاطبين وعدم صدمهم بالحكم الشرعي النهائي ، وإنّما بدأت بالتدريج لكي يتهيأوا لتقبل الحكم الإلهي ، فالآية الأولى بينت أنّ في الخمر أثمٌ أكثر من نفعه ، وفي الآية الثانية نهتهم عن شرب الخمر بشكل جزئي وهو في وقت الصلاة ، أمّا في الآية الثالثة فجاء التحريم بها بشكل عام وقاطع ولا مجال للاقتراب منها٠فالدراسات القرآنية قدّمت للدرس النصي بعداً سياقياً غاية في الدقة ، فهي لم تنظر إلى السياق الخارجي بوصفه وعاء فارغاً لا فعالية له في تغير معنى النص ، بل كان الواقع الخارجي عنصراً فعالاً في تشكيل النص [٦٥] .

الخاتمة

بناءً على ما ورد ذكره من مباحث علوم القرآن يظهر لنا مدى ارتباطها بالسياق وكونه الوسيلة التي تعيد تشكيل النصوص ، فالمعنى المراد لا يمكن الكشف عنه إلّا بتضافر السياقين معاً ، السياق اللغوي والسياق الخارجي ، كون الأخير كالمرآة التي تعكس الضوء على البنية النصية ليظهر لنا ما خُفي من المعنى المراد وفهم الدلالة المطلوبة ٠

الهوامش:

(١) العين: ٢٣٢/٥ .

(٢) لسان العرب : ٢٢٤/١٢ .

(٣) ينظر: الكليات : ٨٢٧ .

(٤) ينظر: اجتهادات لغوية : ٣٨٠ ، نحو النص:٨٤ .

(٥) ينظر:مدخل الى علم لغة النص : ٢٠٩ .

(٦) ينظر: مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه: ٩٧ .

(٧) استراتيجيات الخطاب : ٤٠ .

(٨) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٤٥٦ ، مدخل الى علم لغة النص : ١٥٢ .

(٩) دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة :٧٨ .

(١٠) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٩١ .

(١١) البيان والتبيين : ١٣٦/١ .

(١٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ٤١ .

(١٣) الأصول: ٣٢٨ .

(١٤) ينظر:البلاغة والأسلوبية: ٣٠٨ .

(١٥) نظرية علم النص :٢٥ .

(١٦)ينظر:إسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة: ٢٦٣ .

(١٧) ينظر:المعايير النصية في السور القرآنية : ١٩١ .

(١٨) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤ .

(١٩) ينظر:لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٢ .

(٢٠) ينظر: محاضرات في لسانيات النص: ١١٠ .

(٢١) ينظر:علم اللغة النصي: ١٠٧/١ .

(٢٢) ينظر:لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :٥٢ .

(٢٣) بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم : ١١٧ .

(٢٤) ينظر:النص والخطاب قراءة في علوم القرآن:٨٣-٨٤ .

(٢٥) ينظر:مفهوم النص دراسة في علوم القرآن:١٠٨ .

(٢٦) ينظر:الأنباء الثلاثة الكبرى في الدين :٣٦٦-٣٦٧ .

(٢٧) ينظر: الخطاب القرآني : ٨٢ .

(٢٨) ينظر: الأنباء الثلاثة الكبرى في الدين : ٣٦٧- ٣٦٨ .

(٢٩) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن:٩٧ .

(٣٠) البرهان في علوم القرآن : ٢٨/١ .

(٣١) الإتقان في علوم القرآن : ٧٢/١ .

(٣٢) سورة آل عمران :١٨٧-١٨٨ .

(٣٣) البرهان في علوم القرآن :٢٧/١ .

(٣٤) ينظر: الكشاف :٤٥٠/١-٤٥١-٤٥٢ .

(٣٥) ينظر:النص والخطاب قراءة في علوم القرآن:٨٨ .

(٣٦) البرهان في علوم القرآن:٢٨/١ .

(٣٧) سورة النساء:٥١ .

(٣٨) ينظر:أسباب نزول القرآن: ١٦٠-١٦١ ، التحرير والتنوير:٨٦/٥ .

(٣٩) ينظر:التحرير والتنوير:٨٦/٥ .

(٤٠) سورة البقرة:٩٧ .

(٤١) ينظر:لباب النقول في أسباب النزول: ١٨ ، اسباب نزول للواحدي: ١٤، أسباب النزول للطبرسي:٣٣ .

(٤٢) سورة الأنفال : ٣٥ .

(٤٣) ينظر: الكشاف:٢١١/٢ ، لباب النقول:١٢٧ .

(٤٤) ينظر:البيان في روائع القرآن:١٧٣/١ .

(٤٥) مباحث في علوم القرآن: ١٦٧ .

(٤٦) المصدر نفسه : ١٦٧ .

(٤٧) ينظر: النصوص وسياقاتها دراسة في الأدبية: ٥٩ .

(٤٨) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ١٦٧ .

(٤٩) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٩/١ ٠

(٥٠) ينظر: المصدر نفسه:٤٨/١ ٠

(٥١) سورة الرعد :٤٣ ٠

(٥٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٧٤/٦ ٠

(٥٣) ينظر:الميزان في تفسير القرآن: ٣٦٠/١١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤٥/٦ ٠

(٥٤) ينظر: المصدر نفسه:٣٦٢/١١-٣٦٣ ٠

(٥٥) المنهج الصحيح في تفسير القرآن:تحليل ونقد لنظرية استقلال القرآن واستغنائه عن البيان: ٩٣ ٠

(٥٦) ينظر: البلاغة والأسلوبية : ٣٠٨ ٠

(٥٧) ينظر:مباحث في علوم القرآن:٢٥٩ ٠

(٥٨) البرهان في علوم القرآن:٣٠/٢ ٠

(٥٩) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٦٤/١ ٠

(٦٠) ينظر:النص والخطاب قراءة في علوم القرآن: ٩٤-٩٥ ٠

(٦١) سورة البقرة:٢١٩ ٠

(٦٢) سورة النساء:٤٣ ٠

(٦٣) سورة المائدة:٩٠-٩١ ٠

(٦٤) الإتقان في علوم القرآن : ٦٧/١ ٠

(٦٥) ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن: ٩٦ ٠

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(٩١١هـ)،تح:محمد ابو الفضل ابراهيم،الهيأة المصرية العامة للكتاب ،(د.ط) ، ١٩٧٥م ٠
- اجتهادات لغوية ،د.تمام حسان،عالم الكتب،القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م ٠
- أسباب نزول القرآن ،أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)،تحقيق.كمال بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٩٩١م ٠
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،عبد الهادي بن ظافر الشهري ،دار الكتاب الجديد المتحدة،ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م ٠
- إسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة،ترجمة.د.سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار،القاهرة ،ط١، ٢٠٠٨م ٠
- الأصول ، د.تمام حسان،دار الثقافة،الدار البيضاء،(د.ط)، ١٤١١هـ ٠
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة،مكتبة الآداب، القاهرة،ط١، ٢٠١١م ٠
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ناصر مكارم الشيرازي،دار النشر الامام علي بن ابي طالب،قم ،ط٣، ١٤٣٣هـ ٠
- الأنباء الثلاثة الكبرى في الدين ،محمد باقر السيستاني،دار البذرة للطباعة،العراق،ط١، ٢٠٠٨م ٠
- بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم ،محمود رجبي،تر:حسين صافي،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت،ط١، ٢٠٠٧م ٠

– البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)تح:محمد ابو الفضل ابراهيم،دار المعرفة للنشر،بيروت،ط٢، (د.ت) ٠
– البلاغة والأسلوبية،د.محمد عبد المطلب،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العلمية للنشر– لونحمان ، ط١، ١٩٩٤م ٠
– البيان في روائع القرآن، ٠تمام حسان،عالم الكتب، القاهرة،ط٢، ٢٠٠٠م .
– البيان والتبيين ،الجاحظ، عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٧، ١٩٩٨م ٠
– التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن عاشور ،مؤسسة التاريخ،بيروت،ط١، (د.ت) ٠
– الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق،د.خلود العموش،عالم الكتب الحديث،وجدارا للكتاب العالمي ،عمان.الاردن، ط١، ٢٠٠٨م ٠
– دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة ،د.سعيد حسن بحيري،مكتبة الآداب،القاهرة،ط١، ٢٠٠٥م ٠
– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،د.صبحي إبراهيم الفقي،دار قباءللنشر،القاهرة،ط١، ٢٠٠٠م ٠
– العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ط١، ١٩٨٨م ٠
– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)،تح:عبد الرزاق المهدي،دار احياء التراث العربي، بيروت،ط١، ١٩٩٧م ٠
– الكليات ،أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي(١٠٩٤هـ)،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط٢، ١٩٩٨م ٠
– لباب النقول في أسباب النزول،جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،ط١، ٢٠٠٢م ٠
– لسان العرب ،أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري(ت٧١١هـ)،دار صادر،بيروت،ط١، ٢٠٠٠م ٠
– لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،(د.ط)،١٩٩٨م .
– مباحث في علوم القرآن،د.صبحي صالح ،دار العلم للملايين،بيروت،ط ١٠، ١٩٧٧م ٠
– محاضرات في لسانيات النص،د.جميل حمداوي،ط١، ٢٠٠١م ٠
– مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه،محمد الاخضر الصبيحي،الدار العربية للعلوم ناشرون،الجزائر،ط١، ٢٠٠٨م ٠
– مدخل الى علم لغة النص ،د.الهام ابو غزاله وعلي خليل، الهيأة المصرية العامة،ط٢، ١٩٩٩م ٠
– المعايير النصية في السور القرآنية "دراسة تطبيقية مقارنة" ،د.يسري نوفل، دار النابغة للنشر، القاهرة،ط١، ٢٠١٤م ٠
– مفهوم النص دراسة في علوم القرآن،نصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط١، ٢٠١٤م ٠
– المنهج الصحيح في تفسير القرآن:تحليل ونقد لنظرية استقلال القرآن واستغنائه عن البيان، عبد النبي مهدي ، مكتبة الأمام الحسين(ع)التخصصية،قم ،ط٢، ٢٠٠٧م ٠

- الميزان في تفسير القرآن،محمد حسين الطباطبائي،مطبوعات الأندلس العالمية،بيروت،ط١، ٢٠١٠م ٠
- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن،محمد عبد الباسط عيد،مكتبة الآداب،القاهرة،ط١، ٢٠٠٩م ٠
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند،تر:تمام حسان،عالم الكتب ،القاهرة،ط١، ١٩٩٨م ٠
- النصوص وسياقاتها دراسة في الأدبية ،الأيدولوجيا والخطاب،عفاف البطاينة،مجلة فصول:العدد (٥٨)شتاء، ٢٠٠٢م ٠
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري،د.حسام أحمد فرج،مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.

ABSTRACT

To the site as text criterion looking at Parallels external contextual text and apply it to the phenomenon of rebellion in the Holy Quran, Quranic studies provided the contextual approach script lesson very delicate, they did not consider him just a bowl blank not his effectiveness, but has had a major impact in shaping the New texts, and admonishing Quran Sciences associated with the external context (Sura, Makki and civil copied duplicator).